جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الشعبة: إعلام واتصال

عنوان الماستر: السمعي البصري ماستر أكاديمي

السداسي الأول: تاريخ الجزائر الثقافي

أستاذ المقياس: الدكتور عبد المالك الصادق

السنة الجامعية: 2022/2021

المحاضرة الأولى: الحواضر الثقافية وأبرز الشخصيات العلمية الجزائرية في العصر الحديث.

عرفت الجزائر على مر العصور حضارات متعاقبة، وسكنتها أقوام من البربر، عاصروا الفرس واليونان والفينيقيين والرومان وغيرهم، حيث تطورت منذ العصر الحجري القديم الأعلى إلى أن وصلت إلى عصرنا الحالي، فأثر بذلك الفتح الإسلامي تأثيرا إيجابيا على حياة السكان والمجتمعات بصفة عامة والمغرب الأوسط والجزائر بصفة خاصة، فكان أهم شيء قدّمه الإسلام هو وحدة العقيدة واللغة والعرق والجغرافيا والتاريخ، فتطور بذلك النشاط العلمي والثقافي بعد أن نشطته الحركة التجارية، فتأسست مدينة بجاية سنة 1067م على أيدي الأمير الناصر بن علناس الحمادي، حيث شهدت نهضة علمية وفكرية في ذلك العصر في ميادين عدة[1]، كما عمرت الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون (1236-1554م)، حيث زخرت مدينة تلمسان بآثار تاريخية مازالت قائمة حتى اليوم أكدت عن عظمة المدينة فكريا وعمرانيا وحضاريا، ودليل ذلك القلاع التي قاومت الطبيعة والعدوان بعد أن صمدت واستبسلت على مدار مراحل تاريخية عرفتها المنطقة كانت حافلة بتاريخ شائك ومشحون بالحوادث والاضطرابات[2].

مع نهاية القرن الثامن الهجري، وبداية القرن التاسع الهجري تفوقت تلمسان على بقية الحواضر، فأصبحت بذلك عاصمة للعلم والثقافة وبرز فيها العديد من العلماء من أمثال أبو عبد الله الشريف التلمساني، وأبو محمد عبد الله الشريف التلمساني، وأبو يحي عبد الرحمان الشريف، وقد تتلمذ على أيديهم العديد من الطلبة من أمثال محمد بن يوسف الثغري، وابن مرزوق الحفيد، وأبو العباس البجائي أحمد بن موسى، فأسس بذلك سلاطين بنو زيان مدارس علمية ومراكز ثقافية، كانت دليلا على وجود نهضة علمية، استقطبت من خلالها مدينة تلمسان هؤلاء العلماء والطلبة الذين أسهموا في تطوير الحياة العلمية بحاضرة المدينة[3].

---

[1]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1،ط2 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص181.

[2]- المرجع نفسه، ص220.

[3]- علي العبيدي، صفحات من تاريخ الجزائر (الوسيط، الحديث، المعاصر)، دراسات تاريخية، ج1، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020، ص107.

زخرت مدينة تلمسان بالكثير من العلوم والعلماء، فعرف علمائها المنطق ودرّسوه، كما برز هؤلاء في مجالات الأدب واللغة والتصوف وعلوم الحديث وأصول الدين والعلوم العقلية، ومنهم الشريف التلمساني العلوي (1310-1370م)، والذي نشأ في المدينة وأخذ العلم عن مشيختها خاصة عن شيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدري وأبو عبد الله محمد بن يحي علي النجار، وأيضا أبو موسى عمران بن موسى المشدالي البجائي الذي سافر وارتحل إلى تونس سنة 1339م[1].

كما عرف المغرب الأوسط وبالضبط منطقة الزاب – وعلى غرار المناطق الأخرى- العديد من الأعلام، على الرغم من أن المنطقة معروفة بنشاطها ومنتوجها الزراعي وخاصة التمور ببسكرة، الذين تركوا إرثا وبصمة في مختلف المجالات العلمية من نحو وأدب وفقه...الخ، منهم على سبيل الذكر لا الحصر: محمد بن الحسين التميمي الحماني الطبني الزابي، أبو القاسم الهذلي المغربي البسكري،عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، النهوذي، أحمد بن خلف المسيلي، أبو حسين بن سلمون المسيلي...الخ[2].

شجع سلاطين بني زيان حركة الثقافة، حيث ازدهرت الحركة الفكرية وتطورت ونبغ العلماء والفقهاء نتيجة المنافسة الشديدة بين عواصم المغرب الإسلامي في تلك الفترة كتلمسان وتونس وفاس وغرناطة، حيث شيدت المؤسسات العلمية بعد أن تم انتداب أكبر العلماء وأشهرهم للتدريس، هذا بالإضافة إلى عامل آخر ومهم والمتمثل في حرية التنقل والحركة والتي كانت متاحة بين العواصم الإسلامية، وكذلك حركة هجرة علماء الأندلس والتي ساهمت في إذكاء روح النشاط الثقافي وتطور الحركة الفكرية والاهتمام البارز بأهم العلوم خاصة الدينية (القرآن والسنة)، دون أن ننسى العلوم الأخرى والمتمثلة في العلوم العربية والإنسانية والرياضية والطبيعية، حيث برز علماء أجلاء وكبار من أمثال محمد بن يوسف السنوسي وغيره[3].

---

[1]- علي العبيدي، مرجع سابق، ص197.

[2]- المرجع نفسه، ص226.

[3]- حساين عبد الكريم، قراءة في الحركة الثقافية والفكرية بالجزائر في عهد بني زيان، متوفر على الرابط: http://www.asjp.cerist.dz، تاريخ الزيارة 2021/11/02 على الساعة 16.00.

منذ قيام الدولة الحفصية (1229-1536م) كان أول من وقع تحت سيطرتها من التراب الجزائري قسنطينة وبجاية، فالجزائر الحفصية هي عبارة عن مقاطعتي الجزائر وقسنطينة مع جزء من وهران، وتنقسم إلى أربع ولايات هم على التوالي كل من بونة وبجاية وقسنطينة وولاية الزاب وقاعدته بسكرة، فذكر ابن خلدون في مقدّمته بانتشار الكتاتيب والمساجد فيها،كما حفلت الجزائر في تلك الفترة بكم كبير من العلوم والمعارف التي تلقاها الطلبة في المساجد، وكان هو نفسه من بين هؤلاء، حيث يذكر أنه تطوع شخصيا لتثقيف طلبة العلم بالتدريس في مساجد الجزائر التي هدمها وخربها الإسبان في مرحلة أولى، ثم جاء الاستعمار الفرنسي وعاث فسادا فيها وأخلاها من العلماء والمتمدرسين في مرحلة أخرى قادمة[1].

عرفت حركة التأليف تدوينا لكتب وتراجم وفهارس العلماء ومن بينها مقدمة ابن خلدون والتي وضعها في الجزائر بقلعة بني سلامة في مقاطعة وهران سنة 1374م، كما برز في تلك الحقبة أسماء العديد من العلماء والفقهاء لا يقلون ثقافة وعلما وأدبا عن ابن خلدون من أمثال عبد الرحمان الثعالبي وأحمد المغراوي وأحمد بن يونس القسنطيني، ومنصور بن محمد ، وأبو علي المسيلي...الخ، فَدُرّست دواوين أُمهات الفقه كموطأ الإمام مالك، وفي دراسة التفسير كتاب الكشاف للزمخشري، وأحكام القرآن للطبري، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي، وغيرها من العناوين الكبيرة الأخرى، هذا إلى جانب علوم اللغة والأدب والتي درست بالجزائر في كتاب سيبويه والإيضاح لأبي علي الفارسي، وعموما فإن الدولة الحفصية وبما لا يدع مجالا للشك زخرت مكتبتها بكم هائل من الكتب بلغت نحو ستة وثلاثين ألف مجلد، وهي الوحيدة دون غيرها من المكاتب الأخرى في العالم، فمكتبة باريس مثلا لا تزيد كتبها عن بضع عشرات من الكتب، ومكتبة إكسفورد فيها بضع مجلدات موضوعة تحت تصرّف رئيس رهبان مكتبة مريم[2].

أصبحت الجزائر منذ سنة 1518م مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية، فكانت بذلك موطنا لثقافات عدة، حيث استقر بها الأتراك والجالية الأندلسية فانتعشت بذلك الحياة الثقافية من فنون

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2 شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص121.

[2]- المرجع نفسه، ص.ص122-125.

وآداب، لأن المعروف عن تاريخ الحضارة الأندلسية خاصة بأنها زاخرة ولا تزال آثارها متجسدة في الحياة الاجتماعية والفنية في المغرب العربي إلى غاية اليوم[1].

يذكر أبو القاسم سعد الله بأن تأثير الهجرة الأندلسية لم يكن مقتصرا فقط على المجالات السياسية والاقتصادية، بل وثقافية أيضا، ودليل ذلك احتكار الأندلسيون لميدان التعليم في المغرب العربي عامة والجزائر على وجه الخصوص، ولاسيما في الحواضر التي نقلوا إليها طرقهم الخاصة بالتعليم الذي لم يكن مقتصرا على تحفيظ القرآن للأطفال فقط، بل تم إضافة علوم أخرى في مجال الحديث والقواعد العامة لمختلف الميادين والعلوم وتدارس بعضها، كما علموا روايات القرآن وأنواع قراءاته، أما التعليم العالي فقد دُرّس في المساجد والزوايا ودور العلماء ومجالس المُناظرة، وكان يُعهد به إلى كبار العلماء[2].

وأمام هذه الحركة الثقافية وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية برزت أسماء لمدن شاعت بمدارسها ومساجدها ثقافة تغذى منها المجتمع عقليا وروحيا، واشتهرت بها عائلات في مجال العلم والتأليف (عائلة المقري والعُقباني في تلمسان، ابن باديس والقنفذ في قسنطينة، المنجلاني والمشدالي في بجاية، ابن السكات في الجزائر المدينة، وأبي زيان ناصر بن منرني وعيسى بن سلامة في بسكرة)، أما المدن فهي تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة ووهران والجزائر وعنابة وبسكرة[3].

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص60.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، ، بيروت، لبنان، ص46.

[3]- المرجع نفسه، ص.ص44-45.